المغفول عنه في سورة النصر

أبو جعفر عبد الله بن فهد الخليفي

@alkulife

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المغفول عنه في سورة النصر.

سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ غالبنا مغبون في السور القصيرة، يقرأها ويمر عليها سريعا، ولا يلتفت لمَا فيها من المعاني على وجازة ألفاظها، بل ربما لا يخطر على باله أن تكون هذه الصورة ملأى بالمعاني، ولكي تَعلم حقيقة الأمر تدبر في أن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس استخرجا من هذه السورة أن فيها إخبارا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقُرب أجله وكيف هذا؟ سيأتي بيان بعض ما قد دلّهم على هذا الأمر.

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ هذه بحد ذاتها فيها وقفة:

ففيها إشارة إلى الانتصار في حروب الردة؛ لأنه ما امتن رب العالمين على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بدخول الناس في دين الله أفواجا، وهم سيخرجون عما قريب أفواجا، وستستقر الردة.

وأيضا فيه إشارة إلى غلبة المسلمين على فارس و الروم؛ لأن رب

العالمين قال ﴿ٱلنَّاسَ﴾ و الألف و اللام هنا قد يقال أنها للعهد الذهني، يعني الناس العرب، و لكن في ذلك إشارة إلى مَن ورائهم ممن سيسلمون بسببهم، و تلك الفتوحات العظيمة التي حصلت في زمن الخلفاء الراشدين، و في هذه الكلمة ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ﴾ وفي ذلك رد على الرافضة على الإمامية الذين زعموا أن الناس ارتدوا بسبب عدم توليتهم لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وما كان الله عز و جل ليمتن على نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بدخول أقوام سيرتدون عن قريب، بل هم فيما يزعم الرافضة منافقون، فإن قيل الرافضة لا يكفّرون كل الصحابة، فيقال هم يكفّرون عامتهم و في الروايات عندهم أنهم ارتدوا إلا أربعة، و لو فرضنا أنهم كثير و قد غُلبوا فالله عز و جل في هذه السورة امتن بدخول أهل الإيمان و بانتصارهم، فكيف ستكون الغلبة لأهل الباطل حتى يحملوا عموم الأمة على ما يُعَد عند الإمامية ردة، و من قبل رب العالمين يمتن عليهم بهذا الأمر.

أيضا في قول الله تعالى: ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، الآية لم يُرجِع فيها الفضل إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل أُرجِع فيها الفضل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا في عموم القرآن، ولا يوجد كتاب فيه تعظيم

الله عَزَّوَجَلَّ ككتاب الله عَزَّوَجَلَّ، كالقرآن الكريم، وهذا دلالة على أنه من عند الله، فلم يُرجِع الأمر لا لشجاعة الصحابة ولا لحُسن قيادة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا لأي سبب من الأسباب، وإنما أُرجِع لِمَ؟ لفضل الله عز و جل، و مع ذلك الصحابة قد جاهدوا، و من هنا تعلم أن بَذل الأسباب لا ينافي مشاهدة فضل الله عز و جل، و هذا يرسخ عقيدة أهل السنة في خلق أفعال العباد لمن فهمها، فتأمل ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، سبب إسلام الأنصار اليهود، كانوا يستفتحون على الذين كفروا، هذا لم يكن تسليم مباشرة من النبي صلى الله عليه و سلم، اليهود كفروا ثم الأنصار أسلموا بسبب ما أخبرهم به اليهود عن صفة النبي صلى الله عليه و سلم، يوم بدر أنزل الله ملائكة، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يتضرع إلى الله عز و جل، متبرئا من حوله و قوته طالبا المدد من الله تبارك و تعالى، يوم الخندق و كان من أشد الأيام عليهم أرسل الله عز و جل ريحا، في سورة التوبة يمتن الله عز و جل على الصحابة بعد كل تلك الانتصارات، و يقول لهم: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ هذا مثل ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ هذا بعض الدلالة، بعض الدلالة على نصر الله، و حتى حين يقاتل الصحابة هو النصر من عند الله، و حين يجتهد هو من عند الله، فهو الذي قذف في قلوب

الذين كفروا الرعب.

وحتى الفتح الكبير - فتح مكة - سببه الرئيسي أن قبيلة تابعة لقريش غدرت بقبيلة تابعة للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهذا أمر من توفيق الله - عَزَّوَجَلَّ - لأهل الإيمان، وحتى الحديبية {إنا فتحنا لك فتحا مبينا} وما رأى الناس فيه فتحا في البداية، بل بالعكس رأوا فيه شيئا من الجور على أهل الإسلام، رأى فيه بعض الناس ما رأى، ولكن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « إني رسول الله ولن يضيعني»؛ فكان فتحا، يقول الزهري: « إن الناس الذين أسلموا بعد الحديبية أكثر بكثير ممن أسلموا قبل الحديبية» هذا معنى كلامه، ولهذا الجيوش العظيمة التي جاءت يوم الفتح كانوا من ثمرة الحديبية، من ثمرة الحديبية وما قبلها، ولكن بعد الحديبية الأمر زاد، فانظر إلى فضل الله - عَزَّوَجَلَّ - نصر الله، قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هذه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هذه في صورة من صورها يفعلها عموم أهل الإسلام فالله - عَزَّوَجَلَّ - يقول: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ فسَّرها الصحابة - ابن عباس فيما أذكر - فسّرها بالصلاة؛ لأن الصلاة فيها التسبيح، ونحن بعد الصلاة نقول: استغفر الله استغفر الله استغفر الله. نستغفر هذه هي السنة الواردة عن النبي الكريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ تذكرنا بمطلع الفاتحة، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فالاستغفار طلبٌ لرحمة الله- عَزَّوَجَلَّ- وتذكرونا بماذا أيضا؟

بدعاء الاستغفار، سيد الاستغفار «**أبوء لك بنعمتك علي**» طيب كيف تبوء؟

تحمد الله ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، «**وأبوء بذنبي**» كيف تبوء وتعترف؟ تستغفر» أبوء بذنبي» {واستغفره} وهذا من أعظم دلائل أن الشريعة من عند الله- عَزَّوَجَلَّ- أنها مثاني، وأنها مترابطة، وهذا مما يقوي اليقين، أنك تجد المعاني فيها متصلة ومتفقة هنا وهناك وهناك.

أيضا لعل هذه ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ لعل هذا مما دل عمر المُحدَّث المُلهَم وابن عباس على أن في الآية دلالة على قُرب أجل النبي الكريم- صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لِمَ؟

يقول الله- عَزَّوَجَلَّ- ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هذه ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ انقضى أجل النبي- صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-. ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هذه في الساعة، هذا في

الساعة، وأيضا في حياة النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما خُتمت تلك بالتسبيح والحمد، فحياة النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تُختم بالتسبيح والحمد. طيب أين الاستغفار؟ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا بعد ما انقضى الحساب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الله غفر، وانتهى الأمر، ورحم- سبحانه وتعالى- وانتهى الأمر؛ لأنه قُضي بينهم بالحق، بفضل الله- عَزَّوَجَلَّ- ف سبحان الله، فهذا بعض ما في هذه السورة، سورة النصر، سورة النصر.

وتأمل كيف في قول الله- عَزَّوَجَلَّ- ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ الدلالة على أن النصر ليس مرادا لذاته، وإنما النصر مراد لنشر دين الله- عَزَّوَجَلَّ-، وإن النصر له صور، الفتح له صور، فهناك نصر، وهناك فتح، فالنصر متعلق بالمعركة، والفتح قد يقع بمعركة ودون معركة، فمن الفتح: ظهور الحقائق الإيمانية.

ومن الفتح: دخول الناس في دين الله يفاجأ.

ومن الفتح: انكشاف شبهة أهل الباطل. هذا كله من الفتح.

ومن الفتح: حصول الحدث الذي مُهِّد للنصر وانتشار الدين، كما حصل في الحديبية، هذا من الفتح، هذا فتح؛ لهذا حصل عطف، والعطف الأصل فيه نوع مغايرة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ

وَٱلۡفَتۡحُ ﴾

وترى في قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ﴾ ويقول ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لو تتأمل أدعية الأنبياء في القرآن تجد عامتها، عامتها، ينادي النبي ربه بقوله ربي؛ لأنه- سبحانه وتعالى- المربي لعباده بنعمه، نعمه المستحقة للحمد، ومن نعمته أيضا: مغفرة الذنوب.

وأيضا ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ كأن فيها دلالة من بعيد هكذا على ركعتي الفتح، على ركتي الفتح، فالصلاة فيها تسبح وتحميد، فيها دلالة.

وفيها دلالة على ماذا؟

على كسر الكِبر في النفوس، فبعد الفتح وبعد دخول الناس في دين الله أفواجا: تستغفر الله- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ففي ذلك كسر للكبر في النفوس، فإن الإنسان إذا انتصر طغى، هذا الأصل في الناس، هذا الأصر في بني آدم إلا عباد الله المخلصين، هذا يتذكر فضل الله- عَزَّوَجَلَّ- عليه ويُرجِع الأمر لله- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهذا ترى في كل خير يبذله لك الله- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حتى لا تكون داخلا في الاستدراج،

حتى لا تكون داخلا في الاستدراج، يقول الصحابي: « بُلينا بنعمة الضراء فصبرنا، وبلينا بنعمة السراء فلم نصبر»، وقالها تواضعا، ولكن حقا نعمة السراء كيف تصبر معها؟ باستغفار الله- عَزَّوَجَلَّ- وبحمده على نعمته.

وفي هذه الآية أيضا – ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ أيضا دلالة على أن الانتصار الدنيوي ليس نهاية المطاف، فلا زلت في حال الاختبار، فلا زلت في حال الاختبار، ولا بد أن تمضي ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا من ضمن الاختبار، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

فتأمل هذه السورة على وجازتها كيف حملت كل هذه المعاني! وربما لو تدبر فيها المتدبر لوجد معاني أكثر، حتى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ سبحان الله ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ لم يقل: إذا جئت أنت بالنصر، أو رُزقت، ﴿جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، نزل من السماء، حتى يشاهد المرء فضل الله- عَزَّوَجَلَّ- خالصا، فالإنسان المسلم يبذل الأسباب ثم بعد ذلك يُرجع الأمر لله- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولهذا لا ينبغي الاستهانة بأمر الدعاء، النبي- صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان عنده جيش، وكان عنده....، ويوم بدرا دعا دعا حتى أشفق عليه الصديق! لأن النصر من عند

الله، والله- عَزَّوَجَلَّ- كيف نتصل به؟

بالدعاء، بالصلاة، ولهذا هناك صلاة الخوف في أمر الجهاد، لو شاء الله- عَزَّوَجَلَّ- لأسقطها، ولكن لا، الناس أحوج ما يكونوا للعدة الإيمانية في هذا الوقت، الصلاة هذه من أعظم السلاح، أحوج ما يكونون عند لقاء العدو، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ ذكر الله- عَزَّوَجَلَّ- يثبّت القلب، دعاء الله- عَزَّوَجَلَّ- يثبّت القلب، الاتصال بالله- عَزَّوَجَلَّ- يثبّت القلب، يذكرك بأصل خروجك، وبأمر النية، وأنك بين الحُسنين: إما الشهادة وإما السعادة. وفي الواقع أن الشهادة سعادة!

فسبحان الله! فسبحان الله!